المحاضرة رقم 05: التيارات الجديدة في الآداب المعاصرة (02)

–الوجودية–

إنّ التفكير الوجودي حلقة من سلسلة التفكير الإنساني سبقته حلقات أخرى مهّدت لقيامه عوامل ومقدمات كثيرة عند فلاسفة اليونان، وفلاسفة العصور الوسطى، والعصر الحديث أيضا، مما أسفر في النهاية عن نشأة الفلسفة الوجودية المعاصرة.

1– تعريف الوجودية:

الوجودية* حركة ثقافية انتشرت بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وقد ظهرت كردّ فعل لتسلّط الكنيسة وتحكّمها في الإنسان بشكل متعسّف باسم الدين، والوجودية ليست حركة جديدة، بل جذرها ضاربة في القدم، فعندما تحرّرت أوروبا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر أفكاره، فاستغل البعض أجواء الحريّة لنسف كل الحدود الدينيّة والتقاليد السارية في المجتمع.

كما نشأت الوجودية احتجاجاً على الإسراف في العقلانية التي قال بها "هيجل"** الذي يرد الموجود إلى الماهية المجرّدة، فيغفل كل ما فيه من فردية، فهي لا ميتافيزيقية تنكر أنّ يكون الوجود عين الماهية، وتنفر من المذهب والمذهبية، وتقتصر على وصف الظواهر النفسية، فلا تعين قيمة المعرفة

*– الوجودية Existentialism بالمعنى العام هي إبراز قيمة الوجود الفردي، والمذهب الوجودي هو تيار فلسفي يميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود، ويؤكد على تفرد الإنسان، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجّه. وترجع جذور الوجودية إلى (سورين كيركجور) وتعمق فيها (مارتن هايدجر) و(كارل ياسبرز) وفي فرنسا كان (جون بول سارتر) و(جابريل مارسيل) ... وغيرهم. انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، باب (ج)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 565.

**– هيجل Hegel (1770– 1831) يعتبر من أهمّ مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ومن أهمّ مؤلّفاته: المدخل إلى علم الجمال، أصول فلسفة الحق، ظاهريات الروح...

بالإضافة إلى "الحقيقة" بل طبقاً لما يبدو من قيمة حيوية في ظواهر الشعور الخالصة من الانفعالات والإرادات والآراء المكتسبة من المجتمع[1].

ارتبطت الوجودية في بداياتها بالفيلسوف "هيجل Hegel" الذي اهتم بالوجود بصفة عامة في ارتباطه بالمجتمع، إلا أنّه وعند التحاق "الوجودية" بمسارها الفعلي كمذهب مع "سرن كيركغورج Soren Kierkegaard"، اهتمت بالوجود بصفة خاصة في ارتباطه بالفرد الواحد، ويعدّ "سرن كيركغورد" رائد تيار الوجودي بامتياز، ثم يليه كلّ من "هايدغر Heidegger" و"جون بول سارتر Jean-Paul Sartre" و"ألبير كامو Albert Camus" وآخرون.

الفلسفة الوجودية «تيّار فلسفي لم يتشكّل إلاّ في النصف الأوّل من القرن العشرين الميلادي في الحضارة الغربية»[2]، أي أن ظهورها الفعلي كان إبّان العصر الحديث، وبالضبط ظهرت مباشرة بعد الحرب العالمية.

2- اتجاهاتها:

الوجودية أنواع: وجودية مؤمنة أي (مسيحية)، ووجودية ملحدة.

اتجاه الوجودية المؤمنة:

فلاسفة وجوديين مؤمنون بالله والتي تبدأ بتأملات كيكجارد الدينية وتضع الإنسان في علاقة مباشرة مع الله، وياسبيرز ومارسيل. نبدأ بالتعرّف على فلاسفة هذا الاتجاه وعلى ما جاء في وجهات نظرهم حول الوجودية.

---

[1] -Dagobert D. Runes : The dictionary of Philosophy, p 102.

[2] - إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 236.

أهم الفلاسفة الوجوديين:

- **سورين كيركجارد (1813م– 1855م):**

فيلسوف دانمركي يعتبر مؤسسة الفلسفة الوجودية، مؤلّفاته خليط من الاعترافات العاطفية الشخصية، والتأملات الفلسفيّة، والمقالات الأدبيّة نذكر منها: كتال مدارج الحياة سنة 1845م.

- **كارل ياسبيرس (1883م– 1969م):**

فيلسوف ألماني من الفلاسفة الوجوديين المعاصرين، من أهمّ مؤلّفاته الموقف الروحي للعصر في 1931م، ومؤلف آخر بعنوان العقل والوجود وكان في 1932، وقد كانت له كذلك وجهة نظر حول الفلسفة الوجودية حيث يرى بأنّ الفلسفة الوجودية تهتم بالعديد من المشاكل أهمها مشاكل الفرد وتأملاته وهذا ما أكده في قوله: «موت فلسفة الموجود لأنّها تغلق علينا وتجعلنا ندمر ذاتنا حين نجد أنفسنا نسير في ممرات مغلقة وطرق مسدودة لأنّها تهتم بمشاكل تتصل بالتأمل الفردي»[1].

- **جابريل مارسيل (1889م– 1973م):**

هو وجودي مسيحي كاثوليكي، في كثير من المواقف يعتبر الفيلسوف جابريل مارسيل أنه لا يوجد أيّ تناقض بين المسيحية وبين الوجودية، واعتبرها شيء واحد، ويعترف مارسيل بتأثير الذات الإلهية الموجود العلى التي يشاركها في الوجود على نفسه في توجهه نحو وجوده[2].

اتجاه الوجودية الملحدة:

يمثّل هذا الاتجاه فلاسفة وجوديون ملحدون لا يعترفون ولا يقرّون بحقيقة الله ويرفضونها تماما بحيث يعتبرون أنّ الله غير موجود، ومن بين ممثلي هذا الاتجاه نجد مارتن هيدغر وجان بول سارتر.

[1]– محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية (فلسفة الفهم الإنساني)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص 93.

[2]– علي عبد المعطي، أعلام الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ص 252.

- **مارتن هيدغر (1889م– 1976م):**

فيلسوف ألماني، يعتبر أحد المتميزين في الفلسفة الوجودية، أهمّ مؤلّفاته: ما الميتافيزيقا، وفي عام 1927م ظهر الجزء الأوّل من كتابه الوجود والزمان.

وقد اعتبر هيدجر أن مهمة الفيلسوف هي إيضاح معنى الوجود، حيث يجب على الإنسان أن يسأله أو يطرحه على نفسه ليصبح إنساناً، لأنه من يبحث في الوجود، نعم إنني لست أنا الوجود إلا أنني مع ذلك موجود وأشارك في الوجود[1].

- **جان بول سارتر (1905م– 1980م):**

فيلسوف وأديب فرنسي، ينتسب إلى المذهب الوجودي، كان قد نشر ثلاث أبحاث حاول فيها تطبيق منهج هوسيرل الظاهري.

يرى سارتر أنّ الوجودية تسعى لنشر فلسفة الحرية والالتزام والمسؤولية والكفاح لأجل الجماعة والإنسانية متأثراً بمعاناة فرنسا من الاحتلال النازي، وإدراكه أنّ المصير متعلّق بالحرية، ولا مناص من المقاومة بكل الوسائل.

خصائص تيار الوجودية:

يمكن أن نستنتج باختصار سمات "تيار الوجودية" ونقف على أهم النقاط التي تميزه:

- التشاؤم والنظرة السوداوية للحياة.
- القلق والحيرة، فيعيش الإنسان الوجودي في اضطراب وعذاب دائمين.
- مناشدة اللّذة الحسية والدّعوة إلى التمتّع بها قدر الإمكان.

- الوجوديون لا يجتمعون في مذهبهم وتحليلهم على شيء محدّد «فالوجودي ليس لديه تعاليم وجودية لتحقيقها، بل يحقق وجوده الخاص طبقا لاتجاهاته الذاتية (...) ولا توجد أيّة نظم أو حقائق مشتركة يلتقي عندها الوجوديون ليكون لهم منها إيمان بهدف ما، او فكرة ما، أو عمل ما»[1].

- الاهتمام بالنفس فقط، والباقي لا يهم، وبالتالي التضحية بالمجتمع في سبيل النفس الواحدة.

- سيطرة هاجس الموت والتخوّف الشديد منه فالوجودي «غير قادر أن يكون سعيداً بحياته التي يعيشها ولا هو راضٍ عنها ذلك لأنّه في صراع دائم، لا هوادة فيه، مع ذلك المجهول الذي يسمى الموت»[2].

- الشك في الأمور الغيبية والإيمان فقط بما هو محسوس.

- الوعي بالوجود وبالأشياء الموجودة فيه مما يحيل إلى وحدة الوجود والموجود والاتحاد القائم بينهما.

- الدّعوة إلى التنفيس عن الرغبات المكبوتة.

إنّ الإنسان في الفلسفة الوجودية يكشف وجوده قبل أن يكشف الأشياء الأخرى، حيث يمتاز عن بقية الموجودات بحريته التي يمارسها حتى في أدبه، إنّها الشاهد الوحيد على قيمته ووجوده.